

المثل السائر

لحادث يستأصله وإن أنفقه كان عليه في الحلال حسابا وفي الحرام عقابا فهذه زهرة الدنيا الناضرة وهذه عقابها الخاسرة .

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر صالح بن عبد القدوس .

(وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَمْرُوسُ تَلَا فَيَا ... أَلْهَيْتَ جَمْعًا كُلاًّ
يَتَفَرَّقُ) .

ومن قول أبي العتاهية .

(أَرَمَّا أَرَمْتَ طُولَ عُمْرِكَ مَا عُمِّرْتَ ... فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَرَمْتَ
فِيهَا) .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو كيف يظلم ذلك اللحد وبه من أعمال ساكنة أنوار أم كيف يجذب وبه من فيض يمينه سحب مدرار أم كيف توحش أقطاره والملائكة داخله عليه من تلك الأقطار أم كيف يخفيه طول العهد على زواره وطيب ترابه هاد للزوار وما أعلم ما أقوله في هذا الخطب الجليل الذي دق فيه الحزن الجليل وسمحت له النفوس بالفدية على حب الحياة وذلك من الفداء القليل وقد قيل إنه لم يخلق الدمع إلا إنذارا بأن نواب الزمان ستنوب وقد جعله ذرا للقاءها وإنما يذخر السلاح للقاء الحروب والذي ذخرته منه لم يغن عني في هذه النائبة وأي جنة تقوم في وجه سهامها الصائبة لا جرم أنني أصبحت بين يديها هدفا للرماة ولم يبق مني إلا ذماء الحشاشة ومن العجب بقاء الذماء .
وشيء من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي .

(لَمْ يُخْلَقِ الدِّمْعُ لِمَرِّ عَيْثًا ... اللَّهْ أَدْرَى بِلَاوَعَةِ الْحَزَنِ) .

وكذلك ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية وهو فيا ويح أيد أسلمته إلى الثرى وما كان يسلمها إلى الإعدام وألبسته ظلمة اللحد وطالما جلا عنها غيابة الظلم والإظلام وغادرت به وحدته مستوحشا وقد كان يؤنسها بنوافل الإنعام ومثله لا يوارى القبر منه إلا صورة يدركها النفاد وتبلى كما يبلى غيرها من الأجساد ولكنه لا يستطيع مواراة الذكر الخالد الذي يذهب بشماتة الحساد ويتمثل في السماء بصورة الكواكب وفي الأرض بصورة الأطواد